دراسات قرآنية

أعلام القرآن الكريم

الدكتور حسن عباس نصر الله

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

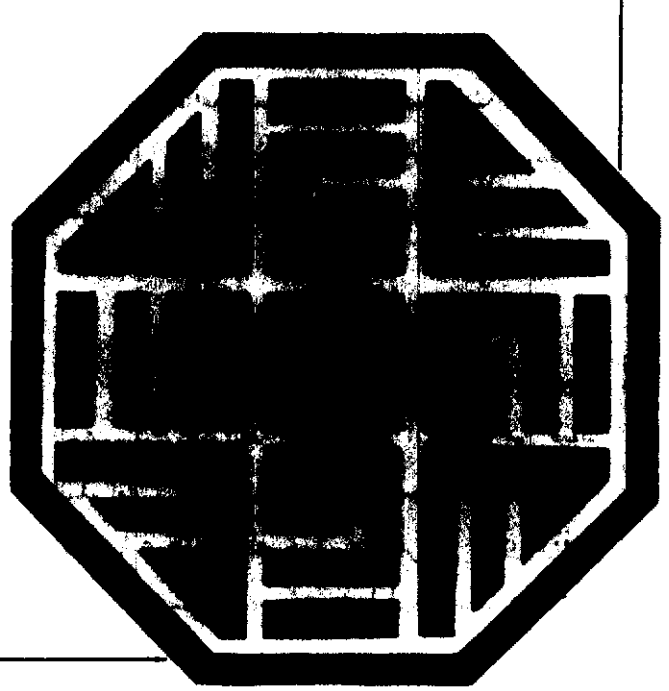

ضمّ القرآن الكريم عدداً من الأعلام توزعت على الرجال والنساء، والأماكن ، والشعوب ، والقبائل ، والكتب السماوية والأديان . . وإن كانت اكثرية الأعلام القرآنية معروفة ، فهناك قلّة تحتاج الى دراسات علميَّة لتحديدها بدقَّة ؛ لأن أوائل المفسِّرين لم يتعاملوا معها بالأسلوب العلمي ، فأتت تفسيراتهم مغلوطة أحياناً ، ومضطربة أو متناقضة حيناً . قال تعالى : ﴿ **وما يعلم تأويله إلاَّ الله** ﴾[1] . وإن عرف الراسخون في العلم مجمل معانيه ، فآمنوا به ، لكنَّهم ظلّوا عاجزين عن كشف بعض أعلامه التاريخية الموغلة في القِدَم ، وذات الكنايات .

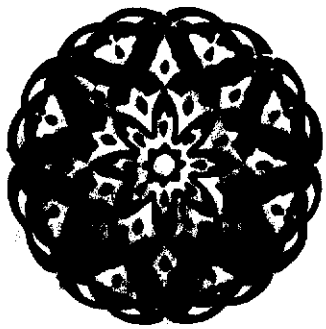

ولما عرض لها المفسّرون وقعوا في الأوهام . وهذه الاشكالات على قلّتها تحتاج الى معالجة في حقول الاكتشافات المحدثة . مما يؤكّد حجيّة القرآن الكريم ، ويرسّخ البعد العلمي لآياته التي تستجيب لمقدور العقل الانساني وتطوراته . وأعرض مجموعة تفسيرات لآية واحدة . قال تعالى : ﴿ **أيحسبُ الانسان ألّن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوِّي بنانه** ﴾[٢] .

علّل جميع المفسّرين القدماء والمحدثين ، « تخصيص البنان » لأن عظامه صغيرة . قال (الطبرسي) ، نقلاً عن (الزجّاج) و (الجبائي) و (أبي مسلم) . . . « من قدر على جمع صغار العظام ، فهو على جمع كبارها أقدر »[٣] .

وورد في تفسير الجلالين : « أي نعيد عظام الأصابع كما كانت مع صغرها فكيف بالكبيرة »[٤] . وأكّد (البيضاوي) المعنى نفسه . قال : « نجمع سلاميّاته ونضمُّ بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها ، فكيف بكبار العظام أو على أن نسوِّي بنانه التي هي أطرافه فكيف بغيرها »[٥] .

وجاء في ظلال القرآن : « كناية عن اعادة التكوين الانساني بأدقّ ما فيه ، وإكماله بحيث لا تضيع بنان . . بل تسوّى تسوية ، لا ينقص معها عضو »[٦] . وفسّر بعضهم : « نسوِّيها » : أي نجعلها كالخفّ أو الحافر . .

أظنّ أن معالجة البعد الاعجازي للآية ظلّ سطحياً مع المفسّرين حتى كشف العلم الحديث تعقيدات البصمات ، وتأكّد بالتجارب أن من كل عشرة آلاف انسان قد لا نجد اثنين تتشابه بصماتهما تشابهاً تاماً . وغدت البصمات المرشد الرئيس لكشف الجرائم في عصر الكثافة البشرية . وهنا يكمن التحدّي القرآني في الآية ، وخصوصاً إذا عرفنا أن البنان يعني أطراف الأصابع حيث البصمات . ورغم تعقيداتها اللامتشابهة يعيدها الخالق ويسوِّيها كما كانت ، فلا يشوبها لَبْسٌ مع بصمات ملايين البشر .

أعْدُل إلى الكنايات العلميّة ناقداً منهجية المفسّرين المرتبطة بالرواية ، المتفلّتة من قيود الدراية . ويبين اختلاق الأسماء اختلاقاً ؛ فحينما عرضوا (لفرعون) الخروج الذي وقف نِدّاً (لموسى) ، إخترعوا له اسماً وتناقله

الخلف عن السَّلف . هذا التلفيق يثير الشكوك حول صحَّة الروايات للمفسِّرين ويضعهم في قفص الاتهام ، وترتيجّ رواياتهم المرتبطة بأسباب النزول لأن المفسِّرين كانوا بغنى عن ذكر اسم الفرعون ، ما دامت تلك المعرفة لا تنفعنا ولا تضرُّنا . ولعلَّ (الطبري) المؤرخ (المتوفى سنة ٣١٠ هـ) كان أول الواهمين .

قال في تاريخه: « اسمه الوليد بن مصعب بن معاوية »[٧] وكأنه نسي ما ذكره هنا ليقول في تفسيره: « هو الوليد بن مصعب بن الريّان »[٨] أمّا (فرعون) مصر في عهد النبي (يوسف) ، فهو (الريّان بن الوليد). هل كان فراعنة مصر عرباً حتى نمنحهم هذه الأسماء ؟ . إنَّ الكتابات الهيروغليفيَّة ، ولفافات البردي التي اكتشفت في مصر تتحدَّث عن اسماء مُغايرة . وإن لم يتفق المؤرخون المعاصرون ، وعلماء الآثار ، على شخصيَّة فرعون الخروج ، بيد أنهم حصروها في أربعة أسماء . قالوا : « هو تحوتمس الثالث (١٤٩٠ ـ ١٤٣٦ ق.م) وقيل هو امنحوتب الثاني (١٤٣٦ ـ ١٤١١ ق.م) . وقيل أمنحوتب الثالث (١٣٩٧ ـ ١٣٦٠ ق.م). والرابع مربنتاح (منفتاح) (١٢٢٢ ـ ١٢١١ ق.م).

لقد عثر علماء الآثار على لوحة انتصارات (منفتاح بن رعمسيس الثاني) وفيها ذكر الانتصار على اسرائيل. وهي المرَّة الأولى التي يظهر فيها اسم اسرائيل في كتابات مصر الفرعونية[٩] . وقيل ان (منفتاح) تولَّى الحكم واستمر حتى غرق في البحر عندما طارد (موسى) بجنوده[١٠].

ومثلما وَهِمَ المفسِّرون في الفرعون ، وهِموا في « ذي القرنين » ومنحوه مجموعة من الأسماء العربيَّة واليونانيَّة . ولم يتورّعوا عن نسبة بعض معلوماتهم المتأوّلة الى الامام علي (ع) .

قالوا : « ذو القرنين هو: عبد الله بن الضحَّاك بن معدّ ، أو عبّاس بن قيصر ، أو مصعب بن القلمّس ، أو الاسكندر اليوناني »[١١] . وعلى رواية ، هو مرزبان اليوناني ، أو شمر بن أفريقش[١٢] . وفي تفسير هو: أبو بكر بن أفريقش الحميري[١٣] . .

تنمُّ هذه التأوّلات المضطربة عن الاختلاق والاختلاف، ارضاء للطموحات الواهمة ، وادعاءً للمعرفة ، ويتبينُ لنا تأثّر المفسِّرين بمدرسة رواة الشعر الذين رفعوا الظنّ الى مرتبة الحقيقة . مع أن تحديد الأسماء لا يتطلبه الدين . فالله سبحانه لم يذكر القصص التاريخية تدويناً لتاريخ البشرية ، إنما المقصود العبرة المستفادة من القصَّة ؛ حكاها للاعتبار والاتعاظ عودة الى الايمان ، وأحياناً اجابة لطلب . قال تعالى: ﴿ يسألونك عن ذي القرنين ، قل سأتلو عليكم منه ذكراً ﴾[١٤].

ومرَّة قصد القرآن الكريم الى الاعجاز . والتحدِّي والاقناع . وضمن هذه الأهداف

عرض القرآن قصصه مصرِّحاً بالأسماء تارة ، ومكنّياً تارة .

إن دراسة الأعلام في أثر ديني ، أُنزل دستوراً للانسان ، تحرّك الوعي بمدلول الرسالة . وتنقلها باستمرار الى واقع الأجيال المتعاقبة ، فيشعر المرء وكأنه يعيش ولادة الحدث وانطلاقته .

إن أعلام القرآن الكريم : البشريَّة والمكانيَّة ، تنقل الينا بواسطة مشاهد مصوَّرة بصدق، ودقَّة ـ صدق الإله ، وقدرته ـ تاريخ الحياة البشرية في مسيرتها منذ آدم حتى محمد (ص) . وتصوِّر الصراع بين أبطال الخير والشر، والايمان والكفر، راسمة النهايات الضاحكة لفريق، والمؤلمة ـ الباكية لفريق آخر.

الأعلام :

الله : عَلَمُ الأعلام ، إسم الجلالة ، ذِكْرُه يُثير نفحات قدسيَّة ، هو « نور السموات والأرض » . « الله » إسمٌ زيَّن القرآن ، والآيات ، ومطالع السور ، ليعرِّف الناس الى نفسه فيتمُّ التوحيد، ويفوز الموحّد.

الله : جذرها: (أ ـ ل ـ هـ) مركبة من أل التعريف و (ها) الضمير الغائبُ الذي « لا تدركه الأبصار » . ولمّا سرق الناس إسم (إله) وأطلقوه على معبودات مخترعة باطلة ؛ أضاف الموحِّدون (أل) التعريف مرَّة ثانية الى (إله) المعبود الحق، وحذفوا همزة (إله) فكان اسم « الله » المقدَّس . عَلَمُ الأعلام ، ومعرفة المعارف ، الذي لا يُجْمع ولا يُثنّى . .

أعلام الأنبياء: صفوة الصفوة من الرسل والأنبياء. أضيئت أسماؤهم في القرآن الكريم . ومنهجية البحث المعمَّق تفرض التعامل مع المضامين التالية : تحقيق اشتقاقات الأسماء ، لُغاتهم ، كتبهم ، معجزاتهم ، الأزمنة والأمكنة ، شعوبهم ، سيرة جهادهم ، مواضع أضرحتهم . .

تسعةٌ وعشرون نبياً تنجّمت أسماؤهم في السور والآيات ، وقصَّ القرآن الكريم حكاياهم :

(آدم ، إدريس ، نوح ، هود ، صالح ، إبراهيم ، لوط ، اسماعيل ، اسحق ، يعقوب ، يوسف ، أيوب ، شعيب ، موسى ، هرون ، الخضر ، ذو القرنين ، الياس ، اليسع ، ذو الكفل ، أسباط ، داوود ، لقمان ، سليمان ، يونس ، زكريا ، يحيى ، عيسى ، محمد ـ عليهم السلام ـ).

ملاحظات : تردَّدت أسماء الأنبياء بكثرة في القرآن الكريم ، ونجد المخاطبات الودِّية ، لقد نسبهم الله تعالى الى نفسه : رُسلي ، أوليائي . . وامتدح صبرهم وتقواهم ، وحلمهم وأخلاقهم . . ﴿ إنك لعلى خلق عظيم ﴾ .

وبلغ عدد الأنبياء والرسل الذين ذكرهم القرآن الكريم تسعة وعشرين ، على خلاف في نبوَّة بعضهم « الخضر ، ذو القرنين ، لقمان » ، وهل (الأسباط) هو نبي أم جملة أنبياء . . وقد عطف على المفرد في القرآن أربع مرات:

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

﴿ وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ﴾[١٥] . ومعروف أن السبط هو الحفيد أو ابن البنت.

نال (موسى) النَّصيب الأدنى، إذ ورد اسمه في القرآن مائة وستاً وثلاثين مرَّة ، ثم (ابراهيم) تسعاً وستين مرة ، و (نوح) ثلاثاً وأربعين مرَّة . .

أما (محمد) (ص) فله اسمان: « محمد » تردَّد أربع مرات ، و « أحمد » مرَّة واحدة . وهناك صفات باتت علميَّة عليه : (طه - يس) . . . وخاطبه الخالق عشرات المرات بقوله: ﴿ يا أيها النبي ﴾ . وكان (يعقوب) من الأنبياء الذين نالوا اسمين « يعقوب واسرائيل » ، ثم (عيسى) بن (مريم) والمسيح .

ما زالت التفاسير تتناقض في تحديد الاشتقاقات الاسميَّة بين السريانية ، والعبرية ، واليونانية ، والعربيَّة . .

آدم : عبري : آدام ، أي التراب لأنه خلق من التراب . وقالوا عربي: من أديم الأرض وجهها ، أو السَّمرة[١٦].

نوح : عبري (نَوَه) : الراحة والسكن . وأبى المفسّرون العرب إلاَّ أن يجعلوا التسمية عربية : نوح من (ناح) لكثرة نواحه وبكائه . . واعتقد أن هذا الرأي بعيد عن الصواب ، لأن لغة نوح وقومه لم تكن عربيَّة .

داود : عبري : القصير ، أو الكريم.

إن دراسة الاشتقاقات ، ومسرح الأحداث الرسالية يحتاج الى بحث مفرد . أعلام الرجال : أبو لهب ، آزر ، تبّع ، تقيّا ، جالوت ، زيد بن حارثة السامري ، طالوت ، عزُير ، فرعون ، قارون ، ماروت (قيل اصله ملك) هاروت ، هامان . . ذُكرَت هذه الأسماء بين تقريع وتوضيح وتشريع ، وضمَّت الملوك والطغاة والأغنياء والمعاندين . . منهم عربيّان: (أبو لهب) القرشي ، عم النبي ، الذي أبى أن يستجيب للإسلام. و (زيد بن حارثة) الذي تربّى في حجر النبي وآمن برسالته . أتى ذكره في قصَّة « تشريع التبني - والزواج » .

الكنايات:

كثرت الكنايات التي تعني شخصيات محدَّدة :

الأبتر « العاص بن وائل » ، الأعمى (في سورة عبس) عبد الله بن أم مكتوم ، شقيُّ ثمود ، فتى موسى « يوشع » صاحب العلم (آصف بن برخيا) إبنا آدم « هابيل وقابين » . ثاني اثنين « النبي (ص) وأبو بكر » « أصحاب المباهلة » محمد (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع).

إن الأعلام الكنائية حُجبت لغايات اقتضاها التحجب حيناً ، وأهمية الحدث الذي يرتبط بها « آية المباهلة » وأحياناً للاحتقار : أبو لهب ، والأبتر . . .

الملائكة : القرآن الكريم هو كتاب الرسالات السماويَّة ، جمع أخبارها وأعلامها ، وهم أبطال يمثّلون حركة التاريخ البشري ،

واتصالاته بالسماء . . وأتت الأعلام الملائكية لنفي الأساطير الملحدة التي عاشتها الحضارات الانسانية وخصوصاً اليونانية التي اكثرت من اختراع الآلهة وانصاف الآلهة لحل مشكلة الاتصال بين الانسان وخالقه.

(جبرائيل) صحّح المسار الفكري في قضية النقل الرسالي . وأحياناً هو (الروح) بتشبيه ضمني (الروح الانسانية) يزيل غرابة الحديث عن (جبرائيل) الملك الذي لا يراه الناس . وتكثر الملائكة فهم « ضيف لوط » (جبرائيل) مع عدد من الملائكة ، أمّا (ابليس) فكان في عداد الملائكة ، ولما ضلّ غدا يمثّل الشر.

أعلام النساء :

ذكر القرآن الكريم علماً واحداً صريحاً من أعلام النساء ، أعني مريم ابنة عمران ، وتردد اسمها أربعاً وثلاثين مرّة ، وكنّى عن الباقيات المؤمنات والكافرات :

المؤمنات هنّ: امرأة ابراهيم (سارة ، وهاجر) . امرأة زكريا (اليصابات) ، ملكة سبأ (بلقيس آمنت مع سليمان) ؛ امرأة عمران ، امرأة فرعون (آسيا) بنات لوط (ريثا أي ريّة ، وزعورا وقيل عروبة) ، أم موسى (يوخابد وقيل يوكابل ، يوكابد) ، أخت موسى ؛ زوج موسى ابنة شعيب (صفّورا) زوج زيد (زينب بنت جحش) أصبحت فيما بعد زوج النبي محمد (ص)، كما خاطب القرآن نساء النبي اكثر من مرة وقصد أم سلمة وعائشة وحفصة . . أما (فاطمة) ابنة (محمد) (ص) فكنّى عنها في آية المباهلة بقوله ﴿ نساءنا ﴾ .

الكافرات هنّ: حمالة الحطب: إمرأة أبي لهب (أم جميل) ، امرأة عزيز مصر (زليخة) ، وقيل انها آمنت . . امرأة لوط (واغلة) امرأة نوح . .

أكّد القرآن الكريم ان المجتمع رجل وامرأة ، وصوّر صراع النساء بين الايمان والكفر ، بعض نساء الأنبياء كافرات ، وبعض نساء الطغاة مؤمنات . حرّية المرأة لتختار طريقها بين الخير والشرّ ، حريتها تعني « القدوة في الاصلاح ، والصّلاح ، وفوضاها تعني الانحراف والضلال.

أعلام الأقوام والقبائل والشعوب : ومعظمها يحتاج الى تحديد العصور التي عاشت فيها ، والى اماكن تواجدها:

أصحاب الأخدود ، بنو اسرائيل ، إرم ، أعراب ، الأحزاب ، قوم تبّع ، ثمود ، الحواريون ، أصحاب الرس ، سبأ ، عاد ، آل عمران قريش ، أصحاب الكهف والرقيم ، مأجوج ، مدين ، المؤتفكات ، يأجوج آل ياسين . .

الأديان :

اليهود ، النصارى ، الصابئة ، المجوس ، الأصناف ، الاسلام . راعى القرآن الكريم مضمون الآية : ﴿ إنَّ الدين عند الله الاسلام ﴾[17] . لذلك لم يقل اليهودية ، والمجوسيَّة ، والنصرانية . بل ذكر الأقوام

فقال: اليهود ، والنصارى، والمجوس. . فالاسلام اسم علم على الدين، والقوم مسلمون . ويؤدي ذلك قوله تعالى: ﴿ ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ﴾[18] . معتبراً الاسلام هو الدين الأوحد منذ (آدم) حتى (محمد) (ص).

الكتب السماوية :

إنجيل ، توراة ، زبور ، صحف ابراهيم وموسى ، فرقان ، قرآن . الكتب الأولى نزلت بمضامينها على الرسل. والقرآن نزل مضموناً ولفظاً على محمد (ص).

أعلام الجنة والنار :

هي أعلام تفرَّد بها القرآن الكريم ، وأخبر عنها وخاصتها أنها غير موجودة في الحياة الدنيا :

ـ **أعلام الجنّة** : ذكرها ترغيباً وتشويقاً ، جزاء للمؤمنين : تسنيم (عين في الجنة) ، سدرة المنتهى ، العرش ، علّيين (كتاب جامع لأعمال الملائكة ، وقيل الطبقة السابعة في الجنة) الكوثر (نهر في الجنة) اللوح المحفوظ.

ـ **أعلام جهّنم**: ذكرها ترهيباً وتخويفاً للكافرين والمشركين :

آنية (عين مياهها ساخنة) ، سجّين (من طبقات جهنم . وقيل كتاب جامع لأعمال الشياطين) ، سقر (طبقة من طبقات جهنم) ، زقوم (شجرة في أصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين) .

ـ **أعلام الأصنام** : أتى القرآن الكريم على ذكر الأصنام التي عبدها الناس وعظموها وذكرها في مجموعتين: الأولى عبدها قوم نوح ومَن سبقهم وهي « ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر » ، والمجموعة الثانية عبدها العرب ، وكانت عبادتها رائجة يوم مبعث النبي محمد (ص) ، وهي: « اللات والعُزّى ومُناة » **وأهمل القرآن ذكر « هُبل » صنم العرب الأكبر** الذي نصبوه في الكعبة ، ربما تحقيراً له . ونجد ذكراً « للبعل » معبود السوريين والرومانيين . وكانت (بعلبك) مركز عبادته ، فأرسل الله سبحانه نبيّه (إلياس) ينهاهم عن ضلالهم.

ـ **أعلام الأماكن** : تأتي أهميّتها بعد أعلام الأشخاص ، وتؤلف مسرح تحركاتهم ، جزء منها أماكن مارس فيها الأنبياء طقوسهم الدينية ، وما زالت مراكز مقدَّسة يؤمّها المؤمنون للزيارة والتبرُّك ، أو تأدية فريضة الحج . وقسم آخر ألّف مسرح تحركات الأنبياء، ونشاطاتهم الرسالية ، والحياتية ، فتحركات النبي محمد (ص) لها أعلامها الجغرافية: منشؤها في مكة ، ومنحها القرآن اكثر من اسم : مكّة ، بكّة ، البلد الأمين ، أم القرى ، مناسك الحج .

الكعبة (البيت المعمور ، المسجد الحرام ، مقام ابراهيم ، الصفا والمروة ، وعرفات ، والمشعر الحرام) « المزدلفة » . وكانت هجرته الى يثربْ (المدينة) ، وإسراؤه من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى

وحروبه في بدر وحنين.

ولـ(موسى) مـواطن جهـاد وتحـركـات : مصر ، مَدْين ، الطور ، سيناء ، وادي طوى، باب حطّة . . وهذه المواقـع معروفـة ومحدَّدة جغرافياً . .

تبقى الأعلام المرتبطة بنوح وعاد وثمود وذي القرنين ومعظمهـا يحتاج الى تعيين دقيق: إرم ذات العماد ، الأحقاف ، بابل ، تنور ، نوح ، الجـودي ، (جبل آرارات) ، سيـل العـرم ، سبـأ ، عين القـطر ، المؤتفكـات ، مـدائن صالح ، مدائن لوط . .

خلاصة :

إن أعلام القرآن الكـريم تلقي أضواء على تاريخ الانسانية ، حاملة الاعجاز ، والتحـدّي في الاخبار والأسلوب ، موزّعـة الارشادات ، لمن شاء الهداية ، وتحتاج الى دراسـة معمّقة تعتمـد التنقيبات الأثـريـة المعـاصـرة لكشف مسـارح الأحداث الـرسـاليـة ، ومـواطن دفن الأنبياء . . إنَّ الآيات ذات المنحى الاعجازي تطالعنا في مختلف السور . والمطلوب انشـاء جـامعة (دينيَّـة ـ علميـة) تضم رجـال الفقـه والتفسير الى جانب علماء الفلك ، والفيزياء ، والكيميـاء ، والآثار . . وتصهـرهم في وحـدةٍ قرآنية ، تتمكن من كشف الـرموز والنـظريات العلمية التي ينطوي عليها القرآن الكريم للافادة منها في تطويـر المكتشفات المستحـدثة . إن استنبـاط النـظريّـات ينفض الغبـار عن الفكـر الاسلامي ، ويطرح الاعجاز المضموني للقرآن الكريم . والاعجاز وحده يرفـع تهمة القصـور الموجّهة الى الفكـر الاسلامي وتـطوره . لقد اكتفى المفسِّـرون بنقـل مـا ورد عن السلف، ضمن منهج وقوفي ، توارثه الخلف على مسرح مغلق ، في بيئة مغلقة ، فأتت تفسيراتهم قاصرة عن ادراك التطورات العلمية .

والحمد لله رب العالمين

● الهوامش ●

(١) آل عمران ٣/٧.
(٢) القيامة ٧٥/٣و٤.
(٣) الطبرسي: مجمع البيان ٢٩/١٢٣.
(٤) تفسير الجلالين : ٤٩٣.
(٥) البيضاوي: عبد الله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٧٧٢.
(٦) قطب: في ظلال القرآن ٦/٣٧٦٨.
(٧) تـاريـخ الـطبـري ١/٣٨٦، المـسـعـودي: أخبـار الزمان: ٢٦٩.
(٨) الـطبري: جـامـع البيـان عن تـأويـل آي القـرآن ١/٢٧٠.
(٩) فخري: مصر الفرعونيـة: ٣٥٩؛ الدبس: تـاريخ سورية ١/٢٤٣.
(١٠) الدبس: تاريخ سورية ١/٢٤٣.
(١١) سبط بن الجـوزي: مرآة الـزمان ٣٢١١؛ تفسيـر البيضاوي: ٣٩٩.
(١٢) الخـطيب الشـربيني: تفسيـر السـراج المنيـر: ٢/٤٠١.
(١٣) في ظلال القرآن ٤/٢٢٨٩.